المشكَل والمتشابه وآليات تأويله في القرآن الكريم عند ابن قتيبة

The problem and the similarity and its interpretation mechanism in the noble Quran according to Ibn Qutaybah

العبزوزي لخذاري*

تاريخ الإرسال: 2021/02/13	تاريخ القبول: 2021/02/23	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

يعد المشكَل والمتشابه من أهم ركائز التأويل في الدراسات القرآنية، بحكم أن المشكَل هو كل ما أشكل معناه، والمتشابه هو كل ما تشابه مبناه واختلف معناه، وكما أن التأويل يستند إلى آليات في تبيين المعنى المراد والمقصود اعتمد على الدراسات اللغوية وكذلك البلاغية فبتأويل النصوص الدينية ، حسب الأنساق والمفاهيم القصدية فيه، ولهذا قدم هذا البحث لمعالجة الإشكالية التالية: ما هي آليات التأويل عند ابن قتيبة في المتشابه والمشكَل؟

الكلمات المفتاحية: المشكَل/المتشابه/التأويل/ابن قتيبة

Abstract: One of the most important pillars of interpretation in Koranic studies is the problem: the problem is all that forms its meaning. The problem is all that is similar to the building and the conclusion of its meaning. What are the elanations of the son of a battalion in resemblance and trouble?

Key words:Problem/similarity/interpretation/son of a battalion

*** *** ***

المؤلف المرسل: العبزوز ي لخذاري **abzouzilakhdari@gmail.com**

*جامعة المدية: abzouzilakhdari@gmail.com

المنارة للاستشارات

. مقدمة:

يعدالمشكَل والمتشابه من أهم قضايا النص القرآني الذي لاقي اهتمام ا لقراء والدارسين لما له من علاقة وارتباط وثيق بجميع العلوم اللغوية والقرآنية، فقد اهتم به علماء علوم القرآن والحديث وكذلك علماء الأصول وعلماء اللغة، لما فيه من إشكالات مرتبطة باللغة تارة وبأبعاد النص القرآني تارة أخرى، فكان هذا الاهتمام ناتجا عن كيفية تأويل هذا الإبهام والمتشابه، لما له من أهمية في فهم المشكَل القرآني، وتبيان مقصدية معاني التنزيل، ويعد كتاب تأويل مشكَل القرآن لابن قتيبة من أهم الكتب التي أثرت هذا المجال وبينت قيمة المشكَل والمتشابه في قيمة النص القرآني، ويعد هذا الكتاب نتاجا لجملة من المعارف السابقة نمت بواكرها وفق الخلافات الناتجة حول فهم النص القرآني، وعلى هذا الأساس عالج الباحثون والدارسون موضوع المشكَل والمتشابه من خلال وجهات نظر متعددة ومتنوعة كلا حسب رؤيته ووجهة نظره في الاستدلال، فما هو المشكَل والمتشابه في القرآن وما هي المصطلحات التي نتجت عنهما؟ وما هي آليات تأويله عند ابن قتيبة؟.

1- مفهوم المشكَل لغة واصطلاحا:

1.1 - مفهوم المشكَل لغة: ذكر اللغويون معاني كثيرة ومتنوعة للفظة المشكَل،منها:ورد في مقاييس اللغة : بأن (ش.ك.ل) معظم بابه المماثلة: بمعنى هذا شكل هذا أي مثله، ومن ذلك يقال أمر مشكَل، كما يقال أمر مشتبه؛ أي هذا شابه هذا؛ وهذا دخل في شكل هذا.[1]

ذكر الزمخشري في أساس البلاغة بأن المشكَل من شكل ويقال :هذا شكله أي مثله، ، وقلت أشكاله وهذه الأشياء أشكال وشكول، وهذا من شكل ذاك :من جنسه[2].

ذكر ابن منظور في معجمه لسان العرب بأن المشكَل مشتق من فعل أشكل ويعني التبس، وأمور أشكال أي ملتبسة.[3]

ورد في القاموس المحيط بأن المشكَل من الشكل وهو الشبه والمثل، ويستعمل للأمور المختلفة المشكلة، وصورة الشيء المحسوسة والمتوهمة.[4]

ورد في المعجم الوسيط بأن المشكَل من الشكل، وهو الأمر الملتبس، ويكون في هيئة الشيء وصورته، ويقال مسائل شكلية عما يهتم فيها بالشكل دون الجوهر[5].

وقال فيه الرازي: "ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهتدي الإنسان إليه بالمتشابه، إطلاقا لاسم السبب على المسبب، ونظيره المشكل سمي بذلك، لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشابهه، ثم يقال لكل ما غمُض وإن لم يكن غُموضه من هذه الجهة مشكلاً، ويحتمل أن يقال :إنه الذي لا يعرف أن الحق وثبوته أو عدمه، وكان الحكم بثبوته مساويا للحكم ببعديه في العقل والذهن، ومشابها له، وغير متميز أحدهما عن الآخر بمزيد رجحان، فلا جرم سمي غير المعلوم بأنه متشابه، فهذا تحقيق القول في المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة"[6].

من خلال أقوال أهل اللغة وعلماء المعاجم نجد معنى كلمة المشكَل على صيغة مُفْعَلْ، اسم فاعل من الإشكال و الإبهام أي الملتبس، ويقال :أشكل الأمر عليه، إذا خفي واختلط و اشتبه والتبس ودخل في أشكاله وأمثاله.

ومن هذا تتضح دلالة المشكَل على أنها بمعنى المماثلة والاختلاط، والالتباس، والاشتباه.

2.1 - المشكل في الاصطلاح:

تعتبر لفظة المشكَل من الكلمات التي تدخل في عدة علوم كعلوم اللغة العربية وعلوم القرآن وعلوم الحديث وأصول الفقه وغيرها، وسنحاول الوصول إلى المعنى المشترك بينها، وتحديد العلاقة التي تربطه بالمعنى اللغوي.

أ -**المشكل عند علماء البيان**" :هو ما التبس على المتأمل لفظه أو معناه؛ لذاته أو أمر خارج عنه[7]"

ب - **المشكل عند علماء التفسير:** "هو الالتباس والاختلاط بين آيتين متقاربتين في المعنى، بحيث يصعب التوفيق بينهما دون الإمعان في النظر،" [8] أو " ما اشتبه المراد منه على وجه لا يعرف تأويله إلاّ بدليل يتميز به عن باقي سائر الأشكال المختلفة"[9].

ومن تأمل في هذا التعريف يرى أن المفسرين جعلوا مشكَل القرآن فيما يوهم التعارض والتناقض والاختلاف، حتى وضعه بعض علماء علوم القرآن تحت عنوان :"في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض."[10]

ج -**المشكل عند علماء الحديث**:" هو الحديث الذي خفي فيه المعنى واحتاج إلى شرح الغريب منه[11]."

المنارة للاستشارات

د -**المشكل عند علماء الأصول**" :هو ما خفي المراد منه باللفظ في نفسه، لدخوله في أشكاله، بحيث لا يدرك ذلك المراد، إلا بقرينة تميزه عن غيره، وذلك عن طريق البحث والتأمل بعد الطلب[12] "، أو "ما خفيت دلالته على المعنى المراد منه خفاء ناشئاً من ذات الصيغة أو الأسلوب، ولا يدرك إلاّ بالتأمل والاجتهاد[13]."

3.1 - مصطلحات االمشكَل:

يرى الباحثون أن كثيراً من المصطلحات التي لها علاقة بدلالة المشكَل ومنها ما يأتي:

أ - **التأويل**: هو "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة"[14]، أو " محاولةٌ عقلية تأملية في أداء لغوي للمعاني الكامنة بالنص المصرح به لاستنطاق المعاني المتوازية فيه"[15] .

ارتبط لفظ التأويل بلفظ المشكل، لأنّهما يكونان في الكشف عن المعاني المناسبة والحقائق المتضمنة للنص المدروس، أو بيان الغموض في الجمل والكلمات القرآنية وتوضيح معانيها ومقاصدها وأهدافها بقدر القيمة العلمية.

ب -**الغريب**: هو "الذي يكون في الألفاظ التي يخفى معناها، ويدقّ على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة أو بسبب استعمالها في غير المعنى الذي وصفت له"[16].

ت- **المبهم**: هو "ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه الله باسمه العلم، من نبيّ أو وليّ أو غيرهما، أو من آدميّ أو ملك أو بلد أو كوكب أو شجر أو حيوان له اسم علم، قد عرف عند نقَلَة الأخبار والعلماء الأخيار"[17]، أو هو " ما أبهم من أسماء الأشخاص والأماكن والآماد والأعداد الواردة في كتاب الله تعالى"[18].

ث- **المتشابه**: هو" أن يكون أحد الشيئين مشابهاً للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز"[19]، أو هو "ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى إدراكه أصلاً كالمقطعات في أوائل السور"[20]،أو هو" ما لا يعلم المراد منه ولا يفهم معناه إلاّ بعد شرحه وبيان تفسيره"[21]

ج- **المختلف**: هو "اللفظ الذي اختلف فيه أئمة اللغة في أّنه في الأصل عربي أو عجمي مثل طسم بالسين المهملة"[22].

ح- **التناقض**: هو " اختلاف الجملتين بالنفي والإثبات اختلافاً يلزم منه لذاته كون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة"[23]،أو " كون الدليلين بحيث يقتضي أحدهما ثبوت أمر

المنارة للاستشارات

والآخر انتفاءه في محل واحد في زمان واحد بشرط تساويهما في القوة أو زيادة أحدهما بوصف"[24].

خ- **التعارض:** هو " ما يوهم التعارض بين آيات الله – جلّ جلاله- منزه عن ذلك"[25]، أو "تقابل الدليلين على وجه يمنع كلّ منهما مقتضى الآخر"[26]، أو اقتضاء كلّ من دليلين عدم مقتضى الآخر".[27]

2 - المشكَل والمتشابه عند ابن قتيبة:

يقول ابن قتيبة في المشكَل:"وسمي: مشكلا لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله"[28]، من خلال هذا الكلام نستشف أن الدلالة المعجمية للفظة المشكَل تدل على المعاني التي سبق ذكرها في المعاجم اللغوية ودارسي اللغة، أما ما يراه ابن قتيبة في المشكَل فهو ما غمض من معناه للاتباسه بغيره واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه"[29].

وينقسم المشكَل القرآني إلى قسمين نوع متعلق باللفظ وآخر مرتبط بالمعنى، ويعد هذا النوع الثاني هو الذي اهتم به ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكَل القرآن حيث يقول:"إن كثيرا من مواطن الكتاب هي في بيان ما أشكل من المعاني"[30]. ومن أمثلته في ذلك الحروف المقطعة في أوائل السور مثل(ألم، ألر، كهيعص، طسم...) [31].

والمتشابه حيث يقول:" وأصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان، كقوله تعالى في وصف ثمر الجنة: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[32]، أي متفق المناظر مختلف الطعوم، ومنه يقال اشتبه علي الأمر إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما، وشبهت علي إذا لبست الحق بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخاريق أصحاب الشبه، لأنهم يشبهون الباطل بالحق، وقد يقال لكل ما غمض ودق متشابه"[33].

ويعتبر ابن قتيبة المشكل من باب المتشابه في المعاني لأنه من فروعه وفصوله كما يعتمد في تحليله لبعض الألفاظ القرآنية على أنها مشْكَلَ مرة ومتشابهة مرة أخرى، وأن المشكل يتعلق بالسياق والإعراب والمعاني .

3 - آليات التأويل عند ابن قتيبة:

المنارة للاستشارات

قبل التطرق إلى آليات التأويل عند ابن قتيبة والبحث في أسسها ومعاييرها، لابد لنا من الإشارة إلى العلوم اللغوية السائدة في فترته، لكي نبرز أهم علم اعتمد عليه في تأوليه للنصوص القرآنية، بحكم أن ابن قتيبة لم يكن متخصصا في مجال دون مجال، بل عرف بالتوسع الفكري والانفتاح العلمي في جميع الحقول المعرفية السائدة في زمانه، وهذا ما أثبتته مؤلفاته المتنوعة وكتبه الغزيرة في جميع الميادين، ولهذا نجد هذه الموسوعية والزخم المعرفي مبثوث في ثنايا كتاب تأويل "مشكَل القرآن"، لقد استنجد ابن قتيبة في عملية التأويل بشتى العلوم وخاصة اللغوية و البلاغية منها.

1.3- آلية علم الأصوات و أبعادها الدلالية:

تعد حركة التأليف اللغوي التي قام بها علماء اللغة، من خلال استقراء مختلف الألفاظ والتراكيب، وجمع الكلام الفصيح من أفواه الأعراب في الفيافي ومختلف الأمصار وفق الرقعة الجغرافية المحددة من أجل وضع تصور شامل لأبنية الألفاظ وأصواتها، وقد ذكر ابن قتيبة في هذا الصدد بيان قيمة اللغة العربية ومفاضلتها على جميع اللغات؛ لأنها تستوعب ألفاظ جميع الأمم، يقول: " وألفاظ العرب مبنية على (ثمانية وعشرين حرفا،) وهي أقصى طوق اللسان. و(ألفاظ جميع الأمم) قاصرة عن (ثمانية وعشرين) ، ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفاً ليس في حرفنا إلا معدولا عن مخرجه شيئا، مثل (الحرف المتوسط مخرجي القاف والكاف،) و(الحرف المتوسط مخرجي الفاء والباء.) فهذه حال العرب في مباني ألفاظها"[34].

يعد الصوت أهم ركيزة في بناء نظام اللغة فهو أصغر جزء ترتكز اللغة عليه وبه تتشكل، حيث يقول محمود شاكر: «الصوت نفَسٌ مقذوف من الجوف إلى الحلق إلى الفم يخرج مدفوعاً مستطيلاً متصلا حتى يعرِض له في طريق استطالته أو اندفاعه ما يثنيه أو يوقفه أو يردده أو ينكسه، وإنما يعرض له ذلك في الحلق أو الفم أو الشفتين أو الثنايا والأضراس مع اللسان، أو في الخيشوم أو في أعلى الحنك، على اختلاف في مواقع النفَس من كل هذه الأعضاء"[35].

لقد اعتمد ابن قتيبة على علم الأصوات في تأويلاته لمشكَل القرآن من خلال توظيف نتائجه في سياق البحث وتعد مصادره الصوتية من خلال علماء القراءات والتجويد ومن الدراسات المعجمية، وما أنتجه الخليل ابن أحمد الفراهيدي وسيبويه في

هذا الباب، منتهجا أسسهما في التحليل الصوتي وإبراز دلالة الأصوات داخل الكلمات والجمل، حيث يقول ابن قتيبة مبرزا البعد الدلالي للأصوات في كلام العرب ومدى التغاير الذي يلحق اللفظ بتغيير الصوت مما يدل على أن من يحلل المشكل لا يسعه الجهل بالأساليب الصوتية المأثورة عن العرب، فهم يفرقون بحركة البناء فقولنا "هذا قَاتِلٌ أَخِي، وقول هذا قَاتِلُ أخي، فالأول دل التنوين على أنه لم يقتله، والثاني دل حذف التنوين على أنه قد قتله".[36]

وقد تتبع ابن قتيبة مقاطع الإشكال التي تتعلق بتغاير بنية الكلمة للاختلاف القراءات القرآنية كما "فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾[37]، "وطرَق طريق الابتداء بأن ، وأعملَ القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب (أنَّ) بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبي ﷺ محزوناً لقولهم أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾[38]، وهذا كفر ممن تعمده، وضربٌ من اللحن لا تجوز الصلاة به"[39].

حيث يقول الاختلاف نوعان اختلاف تغاير واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لا يجوز واختلاف التغاير جائز، ومن أمثلته ما سبق.

2.3.- آلية علم الصرف: يعد علم التصريف من العلوم اللغوية التي تهتم بأبنية الكلم من حيث أوزانها وصيغها وطبيعة الحروف المركبة منها، وهي ركيزة من ركائز التحليل اللغوي لتبيين أهمية الأوزان والصيغ في تبيين إشكالية المشكَل وتحديده من وجهة صرفية بحتة بحكم أن الصيغ منها ما تدرك بالقياس وأغلبها بالسماع، كما أن وظائف علم الصرف يحدد الإطار السياقي لتحليل النصوص من خلال تتبع مقاطع الإشكال في النص القرآني، وبحكم أن اللغة العربية لغة اشتقاقية، باعتمادها على الجذر الواحد بصيغ مختلفة المبنى متغايرة المعنى، وهذا مما دفع ابن قتيبة في الاعتماد على علم الصرف في تحديد الدلالة وتبيين المعنى حيث يقول: " وقد يكتنف الشيء معان فيُشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء، كاشتقاقهم من البطن للخميص: (مبطن) وللعظيم البطن إذا كان

المنارة للاستشارات

خلقة: (بطن) فإذا كان من كثرة الأكل قيل (مبطان) وللمنهوم: (بطن) وللعليل البطن: (مبطون)"[40].

من خلال هذا القول نستنتج أن تغيير الألفاظ من جذر واحد تعبر عن دلالات مختلفة فصيغ الصرفية رغم اشتقاقها من جذر واحد إلا أن معانيها مختلفة، وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة حيث استنتج أن أثر البنية الصرفية في المعنى تتحكم فيه قوالب الصيغ الصرفية، وبالتالي لابد من إدراجها ضمن الآليات التحليلية التي بها نستطيع أن نكشف عن معاني المُشْكَلَةُ في النصوص الدينية.[41]

3.3 - آلية النحو العربي: يعتبر النحو العربي من أهم العلوم العربية التي ترتبط بالنص القرآني لما له من مميزات في استنطاق معانيه والبحث في أغواره، ويعد الركيزة الثالثة والرتبة الثانية في تقعيد قواعده –النص القرآني-، وبما أن النحو أهم ركيزة أساسية في كلام العرب إلا أن في بداية نشأته وظهوره كعلم مر بمراحل وانطلق من مسببات لا يسعنا الخوض فيها، أما بحكم أنه ركيزة يستوجب على المؤول أن يعتمد عليه في استنطاق المشكَل وتوضيح المتشابه، ويبدو أن ابن قتيبة كان واعيا بقيمة النحو العربي في التصدي لمسائل المتشابه والمشكَل في القرآن، بحكم أن النص الديني موجه لتلقي وأكثر تداولا على الألسن، بحكم الطبيعة العربية والمكانة العالية لهذا الكتاب .

قد اعتمد ابن قتيبة في تبين المشكَل والكشف عن معناه على أسس وقرائن نحوية، لأن بالنحو يتضح المعنى كما يقول ابن جني"النحو اتباع سمت كلام العرب"[42]، وهذا ما نجده يبرز قيمة النحو في كتابه المشكَل "على أن القراء قد اختلفوا في قراءة هذا الحرف: فقرأه أبو عمر ابن العلاء وعيسى ابن عمر : إن هذان لساحران، وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة، وقرأها عاصم الجحدري: إن هذين لساحران" [43].

إن المعرفة النحوية تبرز التفرقة الدلالية بين تركيبين متقاربين بحكم مراعاة العلامة الإعرابية، وبالإعراب يمكن تخريج المشكَل القرآني، فابن قتيبة يبين القيمة التركيب في إبراز المعاني المغلقة.

4.3-الآليات البلاغية في تأويل المشكَل:

لقد اهتم ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكَل القرآن بالأوجه البلاغية في تبيين المشكَل والمتشابه، واعتمد عليهم كآليات في فهم المشكَل وتبيين معناه ، وبحكم أن علم

البلاغة يعمل على تبيان لسان العرب في طريقة نظمهم الكلام وتنوع أساليبهم في صوغ الحديث.

كما يعتبر علم البلاغة من العلوم التي يبني عليها المفسر تفسيره؛ لأنه به يمكن استخراج درر القرآن وتبيين وجوه الإعجاز فيه، وبحكم أن ابن قتيبة قد ركز في كتابه على أنماط من أوجه البلاغة في استظهار المعاني المشكَلة، وطريقة العرب في القول مثلها أو على شاكلتها فهو يعد من المؤصلين الأوائل لأطر البلاغة وتبيان أوجهها، حسب ما أشارت إليه بعض الأبحاث، فابن قتيبة كان سباقا وداعما ومؤصلا للبلاغة، وهو ما يحيل إليه كتابه تأويل مشكَل القرآن، حيث يقول: "وللعرب مجازات في الكلام ومعناها القول وما آخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب اثنين، والقصد بالفظ الخصوص بمعنى العموم، وبالفظ العموم بمعنى الخصوص."[44]

وبهذا نرى أن هذه المذاهب نزل بها القرآن الكريم وعلى شاكلتها نسج ووفق أنماطها أبدع، وما علينا إلا أن نتتبّع هذه الأوجه وعلى شاكلتها نبحث عن المشكَل في القرآن الكريم.
قد ابرز ابن قتيبة اهتمامه من الجانب البلاغي من خلال علومه الثلاث وخاصة علم البيان عندما ارتبطت دراسته بالقرآن.

فعلم البيان هو العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه، ومن أوجهه التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية.

المنارة للاستشارات

1 - التشبيه:

وهو كما يذكره المبرد"واعلم أن لتشبيه حدا، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجه وإنما ينظر للتشبيه من حيث وقع"[45]، لقد اهتم ابن قتيبة بالتشبيه وأعطى له أهمية بالغة في تحديد المشكّل في القرآن الكريم، وقد أطلق عليه عدة مصطلحات منها التشبيه والتمثيل والمثل، فهي كلها تدل على التشبيه، حيث يبرزها في الشاهد التالي من القرآن الكريم في قوله تعالى في وصف النار ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾[46]، حيث"وقع تشبيه الشّرر بالقصر في مقاديره، ثم شبَّهه في لونه بالجِمالات الصُّفر، وهي السود، والعرب تسمي من الإبل صُفْراً، وإنما سميت السود من الإبل صُفراً؛ لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة...، والشّرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السُّود؛ لما يشوبها من الصفرة"[47].

وقد أقتصر ابن قتيبة في تحديده لتشبيه على أنه وجهاً من أوجه البلاغة من خلال تحديده للمشبه والمشبه به في آيات من القرآن الكريم عكس الأوجه البلاغية الأخرى التي أفرد لها أبوابا.

2 - الاستعارة:

تعد الاستعارة لون من ألوان علم البيان وهي باب من أبواب المجاز وفي مفهومها العام تشبيه حذف أحد طرفيه؛ إما المشبه أو المشبه به، ويعد الجاحظ من عرف الاستعارة كفن بلاغي إذ يقول"الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذ قام مقامه"[48]، أما ابن قتيبة فيوجز لها تعريفا يقترب به كثير في المعنى الاصطلاحي للمتأخرين حيث يقول "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها، أو مشاكلا ، فيقولون لنبات نوء، لأنه يكون على النوء عندهم، ويقولون للمطر سماء لأنه من السماء نزل، فيقال: مازلنا نطؤ السماء حتى أتيناكم، ويقولون: ضحكت الأرض، إذا انبتت، لأنها تبدي عن حسن النبات، وتنفتق عن الزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر، ولذلك قيل لطلع النخل إذا انفتق عنه كافوره: الضحك، لأنه يبدو منه لناضر كبياض الثغر، ويقال: ضحكت الطلعة." [49].

ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أن ابن قتيبة بين عملية الكشف عن العلاقة بين المعنى المنقول منه للفظ والمعنى المنقول إليه، لأن هذا التعريف يبرز اللبنات الأساسية التي

انتهجها البلاغيون في تعريفهم للاستعارة حتى وإن اختلفوا في اللفظ والتعبير، فإنهم يتفقون في الدلالة على معنى الاستعارة، لقد اهتم ابن قتيبة في دراسته للاستعارة وخصص لها بابا في كتابه مبرزا مفهومها وصورها وكيفية استعمالها، كما أنه انفرد بذكر نوع جديد لها وهو استعارة الحرف في الكلمة الواحدة وقاس ذلك على استعارة الكلمة في الكلام، إذ نجده يقول:"وقلما تفعل العرب شيء في الكلام المتصل الكثير إلا فعلت مثله في الحرف الواحد المنقطع، فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب ما بينهما، أو لأن احدهما سبب للأخرى، كذلك يستعيرون الحرف في الكلمة مكان الحرف، فيقولون: مدهته بمعنى مدحته، لأن الحاء والهاء يخرجان جميعا من مخرج واحد، ويقولون للقبر جدث و جدف، ويقولون ثوم وفوم، ومغافير ومغاثير، بقرب مخرج الثاء من الفاء، وفي أشباه هذا كثيرة يبدلون فيها الحرف من الحرف لتقارب ما بنهما."[50].

ويعد ابن قتيبة أول من أطلق مصطلحة الاستعارة على الأمثلة القرآنية، وقد تميز بالإكثار منها خاصة في كتابه تأويل مشكل القرآن، حيث نجده يقول ومنه"أي استعارة ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾[51] ، أي إثمك وأصل الوزر: ما حمله الإنسان على ظهره، ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧﴾[52]، أحمالا من حليّهم، فشبه الإثم بالحمل فجعل مكانه، وقال في موضع "﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٨﴾[53]، يريد آثامهم. "[54]، وتعتبر هذه الصورة البيانية التي جاءت على شكل الاستعارة يبرز فيها دلالة الاستعارة عن المعاني التي صيغت لدلالة عنها وعلاقتها بشكلها، فلذلك يعد ابن قتيبة أول من استعمل الاستعارة في القرآن الكريم من أجل إبراز المعاني المغفلة و المتشابهة ليعمل على توضيحها وإبرازها والمراد منها، أي قصدية الكلام منها.

3 - الكناية:

تعتبر الكناية من المصطلحات البلاغية التي أدرجها ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكَل القرآن فأفرد لها باب أو ميزها عن ما يشاكلها وضرب فيها أمثلة من أقوال العرب

المنارة للاستشارات

والقرآن الكريم، إلا أن مفهومه لها لم يكن واضح المعالم بينما قد عرفها من جاء من بعده خاصة عبد القاهر الجرجاني، حيث يقول:"الكناية: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: طويل النجاد، يردون طويل القامة، وكثير الرماد يعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى)، ومراد أنها مترفة مخدومة، فقد أوردوا في هذا كله معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاة ، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر، وإذا المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام الضحى."[55] .

من خلال ما سبق نرى أن الجرجاني قد تأثر في حديثه عن الكناية بكلام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث، حيث تحدث عن الكناية وضرب أمثلة فيها من القرآني الكريم حيث نجده يقول" وكلام العرب إيماء وإشارة وتشبيه، يقولون: فلان طويل النجاد، والنجاد حمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفة قط، وإنما يريدون أنه طويل القامة، فيدلون بطول نجاده على طوله، لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل، ويقولون فلان عظيم الرماد، ولا رماد في بيته ولا على بابه، وإنما يريدون أنه كثير الضيافة، فناره وارية أبدا، وإذا كثر وقود النار كثر الرماد ، والله تعالى يقول في كتابه: " مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ ﴾[56]. فدلنا بأكلهما الطعام على معنى الحدث ، لأن من أكل طعاما فلا بد له أن يحدث، وقال الله تعالى حكاية عن المشركين في النبي ﷺ، وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ ﴾[57]،فكني بمشيه في الأسواق عن الحوائج التي تعرض للناس فيدخلون لها الأسواق، كأنهم أرادوا أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعثه الله تعالى أغناه الناس وعن الحوائج إليهم".[58]

من خلال ما سبق نرى أن ابن قتيبة قد أشار إلى نوع جديد من الكناية وهي الكناية المركبة، أي الكناية بجملة عن معنى من المعاني، كقوله " قولهم: حبلك على غاربك"، والغارب مقدم السنام والأصل فيه أن يلقى حبل الناقة على غاربها وتترك تسرح وتذهب و تجيء حيث شاءت فكنى ذلك عن الطلاق" .[59]

وقد اهتم ابن قتيبة بالكناية وتوسع بالحديث عنها والحديث عن أنواعها والتمثيل لها في كتبه من خلال مواقع شتى، فتارة يربطها بالتعريض وتارة يتركها، وقال عنها " الكناية أنواع ولها مواضع، فمنها أن تكنى عن اسم الرجل بالأبوة كأبي طالب وأبي ذر، لتزيد في الدلالة عليه إذ أنت راسلته أو كتبت إليه."[60].

ومن أمثلت الكناية في قوله: " ومن الكناية قول الله عزّ وجلّ " يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ "[61]،ذهب هؤلاء وفريق من المتسمين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه، وقالوا: لم كنى عنه، وإنما يكني هذه الكناية من يخافوا المباداة ويحتاج إلى مدجاة."[62].

ومن هنا نستنتج أن ابن قتيبة في هذا الباب لم يميز بين الكناية والكنية، وهذا ما سجله كامل خولي في كتابه أثر القرآن في تطور البلاغة العربية فلا تزال الكناية عند ابن قتيبة مزيجا من المعنى اللغوي والاصطلاحي من غير تمز بينهما.

وهكذا نستخلص أن الكناية وجه من أوجه البيان في كلام العرب، وبحكم أن القرآن جاء على منواله وبلغتهم فقد اعتمد على هذه الخصيصة في ثناياه.

ومن هذا نجد أن ابن قتيبة اعتمد خلال دراسته لتأويل مشكل القرآن عن علم البيان وأدرجه من ضمن أدواته الإجرائية لتحليل النصوص الدينية وتوضيح المعاني الغامضة والكشف المقصود منها، كون أن البيان أعلى مراتب الكلام عند العرب، فلذلك أفرزه وخصص قوالبه وبين مجريات القرآن على منواله، لأنه جاء على طريقة نسجهم للكلام.

خاتمة:

من خلال بحثنا هذا ونتيجة لتقسي المشكَل والمتشابه وآليات تأويله في القرآن الكريم عند ابن قتيبة، نستنتج أن المشكَل والمتشابه هما أساس التأويل لما لهم من أراء

المنارة للاستشارات

مختلفة ووجهات نظر متنوعة في تحديد معانيهم ومقاصدهم من النص القرآني وهذا ما دفع ابن قتيبة في الرد على الاعتراضات التي صدرت عن كل ملحد محرِف وعن كل ذي فهم كليل وبصيرة عليلة وفهم مدخول، فقد أستساغ ابن قتيبة في كتابه جملة من الآليات في تحديد المشكَل وتوضيح المتشابه، لم تكن هذه المحددات واضحة المعالم بحكم تنوعها وتفرعها مع شتى العلوم والمجالات فقد استنجد بعلوم اللغة في بناء الكلام ونسجه وترتيبه وفهمه، واعتمد على أوجه البلاغة في تبيان الغامض والمستعار وما كان حقيقة وما كان مجازا، وأبرز أهم أنماط الكلام عند العرب وكيفية نسجها وما النص القرآني إلا على شاكلتها وفي طريقتها للكلام.

5. الهوامش:

1 - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، مادة (أشكَل).

2 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، مادة: أشكل.

3- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ، لسان العرب، ط 3،دار المعرفة، القاهرة،2004م، مادة: أشكل

4- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط 8،مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، مادة: أشكل

5- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،مكتبة السروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004م، مادة:أشكل

6- مفاتيح الغيب، الرازي، ج7، ص138

7- الحربي،عبد العزيزبن علي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيراً وإعرابا، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ، ص 890

8- العمري، محمد أمين، تيجان البيان في مشكلات القرآن، تحقيق: حسن الرزو، ط1 ،مطبعة اشبيلية ، بغداد،ص40

9- الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، ط1 ،دار القلم، دمشق، 2001م، ص.679

10- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ص475

11- الشرقاوي، السيد، معاجم غريب الحديث والأثروالاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ص75.

12- صالح، محمد أديب، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، ط،4 المكتب الإسلامي، بيروت،ج1، 1993، ص254

13- الدريني، فتحي، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، ط ،٢ الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، 1985م، ص77.
14- الجرجاني، علي بن محمد ، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة،القاهرة، ص46.
15- زاهد، عبد الأمير، التأويل وتفسير النص ، مجلة السدير، العدد الرابع، ص30
16- الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، ط 1،دار القلم، دمشق، 2001م، ص.197
17- السهيلي، عبد الرحمن، التعريف والإعلام، تحقيق: عبد الله النقراط، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس، ص50
18- الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، ط 1، دار القلم، دمشق، 2001م، ص 238
19- المكي، ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ط ،١ مركز البحوث والدراسات، الشارقة، 2006م ،ج 5،ص9
20- الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ص167
21- الحلّى، محمد علي حسن، المتشابه من القرآن، ط 2، بيروت، ج 1،ص 11.
22- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم – علي دحروج، ط 1، مكتبة ،لبنان،ج2، 1996،ص١٤٩٢
23- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى ، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ص305
24- البركتي، محمد عميم الإحسان، قواعد الفقه، ط1 ،دار الصدف بيلشيرز، 1986م، ص230.
25- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي ، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص357
26- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر ، نهاية السول في شرح منهاج الأصول، تحقيق: جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الآسنوي، عالم الكتب، ج 2،ص.179
27- ابن أمير الحاج، محمد ، التقرير والتحبير في شرح التحرير، دار الكتب العلمية، ج 3،ص02
28- ابن قتيبة، تأويل مشكَل القرآن، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص102
29- ابن قتيبة ، المصدر نفسه، ص102.
30- عبد الله بن حمد المنصور، مشكل القرآن الكريم، بحث حول استشكال المفسرين لأيات القرآن الكريم – أسبابه و أنواعه وطرقه دفعه، دار ابن الجوزية ، ط1، 1426هـ، ص57
31- ابن قتيبة، تأويل مشكَل القرآن، مصدر سابق ذكره ، ص100.
32- سورة البقرة الاية 25
33- ابن قتيبة، تأويل مشكَل القرآن، ص101-102
34- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق ذكره، ص14
35- محمود شاكر، جمهرة مقالات محمود شاكر، ج1، ص710.

المنارة للاستشارات

36- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدرسابق ذكره، ص15.
37- سورة ياسين الاية76
38- سورة البقرة، الآية 77
39- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،مصدرسابق ذكره ،ص 15-16.
40- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدرسابق ذكره ،ص17
41- عبد الله بن حمد المنصور، مشكل القرآن الكريم، بحث حول استشكال المفسرين لآيات القرآن الكريم، ص60
42- ابن جني، كتاب الخصائص، تحقيق محمد بن علي البجاوي، دارالكتاب الغربي، بيروت ص40.
43- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدرسابق ذكره ،ص51.
44- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدرسابق ذكره ، ص20-21
45- المبرد، الكامل في اللغة، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص521
46- سورة المرسلات الآية 32
47 ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، مصدرسابق ذكره ، ص320-321
48- الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط7، 1418هـ، ج، 1،مكتبة الخانجي،القاهرة، ص153
49- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، مصدرسابق ذكره ص136.
50- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، مصدرسابق ذكره ص302-302
51- سورة الشرح، الآية02
52- سورة طه، الآية87
53 سورة العنكبوت ، الآية 18.
54- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، مصدرسابق ذكره ، ص140.
55- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تحقيق محمد محمود شاكر، ط3، 1413هـ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص66.
56- سورة المائدة ، الآية 75
57- سورة الفرقان،الآية07
58- ابن قيبة، تأويل مختلف الحديث،تحقيق السيد أحمد صقر، ط2، 1393هـ، دارالتراث القاهرة ،ص. 111
59- ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري ، ط1، ج2، 1393هـ، مطبعة العاني ، بغداد، ص 86.
60- ابن قتيبة، تأويل مشكَل القرآن، ، مصدرسابق ذكره ص256.
61- سورة الفرقان، الآية 28
62- ابن قتيبة، تأويل مشكَل القرآن، ، مصدرسابق ذكره ، ص261.